باظهار فكرة معينة في الرسم ومعالجة مواضيع واقعية ، كما تظهر محاولات لتمثل النسب الطبيعية في الرسم ، واستخدام بعدين او ثلاثة ابعاد ، وحل مشاكل الفراغ ، والتمثيل المكاني والزماني للرسم بصورة واقعية . وغالبا ما تحاول رسوم الاطفال في هذه المرحلة ان تقول شيئا ، او تعبر عن فكرة او تروي قصة ، ويكاد يكون الانسان الموضوع الاول في رسوم اطفال البقعة، فيتناولونه بالمعالجة، مع مزيد من التحديد والتفصيل ، محاولين مضاهاة الشكل البشري في الطبيعة . كما تنسحب بعض الظواهر التي يلجأ اليها الاطفال في سن ابكر ، مثل المبالغة والتسطيح واختلاط الامكنة والازمنة في معالجاتهم ورسومهم ، ويحل محلها رؤية واقعية بصرية . كما يميل الاطفال في هذه المرحلة الى تمثيل الالوان كما هي موجودة في الطبيعة . غير انه يلاحظ ، بشكل عام ، ان رسوم هذه المرحلة قد فقدت الكثير من تلقائيتها وهبطت ابداعيا واخذت تقترب من المحاكاة الطبيعية . كما ان النمو العام عند الطفل — ذهنيا وفسيولوجيا ونفسيا — تدفع به نحو عالم الكبار ، ونحو قوانينهم ، التي لا تلبث ان تحل مكان « القوانين » الفطرية ، ومكان الملازمات الشكلية لرسوم الاطفال ، وهو الامر الذي يفقدها عفويتها ورقتها المعهودة . ومن جهة اخرى تظهر في هذه المرحلة فروق لا يستهان بها بين رسوم الذكور والاناث من الاطفال ، حيث يتعمق احساس كل من الجنسين بعالمه واهتماماته ومثله المتميزة .

د — سن الثانية عشرة الى الرابعة عشرة : وفي هذه المرحلة تتبلور الظواهر الملحوظة في رسوم الاطفال في المرحلة السابقة ، حيث يكون قد ظهر مزيد من النضج الذهني في محاولات تصوير البيئة بأسلوب واقعي وسطي ، وتقليد الطبيعة من خلال استخدام المنظور ومحاولات الطفل في الظل والاضاءة ، وحل مسائل الفراغ ، والاتجاه الى توظيف اللون موضوعيا ، اي ان هذه الرسوم قد اخذت تمتثل لتقاليد الكبار الفنية في التصوير . ومن ثم فان هذه الرسوم تفقد مزيدا من تلقائيتها وعفويتها الفنية مع انصرافها بصورة متزايدة نحو موضوع او موضوعات ذات صبغة واقعية . وتظهر الاختلافات بين رسوم الاطفال الذكور عن رسوم الاطفال الاناث سواء من حيث المواضيع ، او حيث المعالجة التشكيلية ، ويعود هذا الى تبلور وعي واهتمامات كل جنس ضمن اوضاع مختلفة نسبيا .

موضوعات رسوم اطفال النازحين

يذكر صادق جلال العظم في أول مقالة تعرف رسوم اطفال النازحين للجمهور ، الملاحظة التالية : « ... نحن نتوقع في العادة ان تدور رسوم الاطفال حول موضوعات بريئة مبتسمة مبهجة ، تتصف بالهدوء والدعة والسذاجة وليس بالطابع الملحمي، غير ان الطفل الفلسطيني في المخيم ليس طفلا عاديا، وتجربته القاسية المرة جعلت من رسومه حالة فريدة في نوعها تقريبا ، ان كان ذلك بالنسبة لطاقاتها الثورية الكامنة ، او لسلبياتها الكابتة لهذه الطاقات والمشتتة لها .. »(٣٧).

ترتبط هذه الملاحظة ، او هذا التقرير لدلالات هذه الرسوم ، بشهادة الشاعر الفلسطيني محمود درويش عن طفولته « .. وحين صحا ذلك الطفل المزق الثياب من التعب والرهبة ، كان رأسه يزدحم بالاسئلة التي هاجمته دفعة واحدة وبلا تسلسل ، ومنذ تلك الليلة انقلبت الصفة الخاصة لعالم الطفولة ، وأصبح ذلك الطفل محروما من الاشياء واللغة التي تميزه عن الكبار ...»(٣٨). اذ تبدو رسوم اطفال البقعة كصدى وترداد لاصوات طفولة النزوح الاول التي لم تستنطق بالالوان والورق ، مع ذلك فهي قد ائتلفت واتحدت مع طفولة ١٩٤٨ عبر ذات المأساة . « ... ان طفولتي هي بداية مأساتي الخاصة ، التي ولدت مع بداية مأساة شعب كامل ، لقد وضعت هذه الطفولة في النار ، في الخيمة ، في المنفى ، مرة واحدة وبلا مبرر تتمكن من استيعابه ، ووجدت نفسها فجأة تعامل معاملة الرجال ذوي القدرة على التحمل ، ولا تستثنى من مصيرهم ... » . « ... كنت ادخل عالم قضايا جديدة » يقول درويش ايضا « والتصق بها رغما عني ، مبتعدا بوتيرة سريعة عن عالم الطفولة ، اذا كان يعني ما يحظى به الطفل من تفوق وتميز ... »(٣٩).

لعلنا لن نكون بحاجة الى جهد كبير ، لكي نتبين القسمات المشتركة التي توحد ما بين رسوم الاطفال و« شهادات » محمود درويش الواعية عن طفولته، لذلك سوف نبحث في الصورة الاصلية ، في هذه الرسوم ، كي نتمثل صورة الحياة القائمة في المخيم، الذكرى الطازجة للحرب ، الانشداد العميق نحو البيئة الاصلية ، نحو الوطن ، التجربة والمشاهدة